

وبهذا يهد العقاد للطور الثاني من شاعرية البارودي التي عبر عنها بأناك لا ترمى في ديوانه بيتاً واحداً إلا وهو يدل على شخصية البارودي كما عرفناه في حياته العامة والخاصة كما قال الشاعر نفسه :

فانظر لقولي تجذب نفسي مصورةً في صفحته فقولي خط تمثالي

ويعكس شعر البارودي في هذا الطور قدرة على الابتكار الناشئ من شعور بالحرية القومية ، كما يعكس قدرة على الابتكار الناشئ من استقلال الشخصية أو من شعور بالحرية الفردية (١٥) .

وبرغم تطور البارودي من مرحلة إلى أخرى ، يعود العقاد فيؤكد أن محاكاة البارودي للقدماء ربما كان أنفع ما في شعره للأدب المصري الحديث ، « لأنه رد إلى المعاصرين يقين القدرة على مجارة العباسيين والمخضرمين والجاهليين في ميدان اللغة والتراكيب بما أتقن من معارضتهم في المذاهب والأساليب (١٦) » .

هذه إشارة عامة إلى تصور الاستاذ العقاد لشاعرية البارودي وتطورها ، وهي إشارة تكفي فيما نحن بصدده ، وتكفي كذلك لأن نرتب عليها نتيجة هامة ، هي أن البارودي في نشأته الشعرية وتطوره خير مثال لنشأة الشعراء العرب وتطورهم ، فقد بدأ البارودي يطالع الشعر القديم ، ويذوقه ، ويرويه ويختار منه مختارات ، وكان واسع الثقافة الشعرية والأدبية ، ولم يحتج بعد هذا إلى أن يتعلم اللغة والنحو والعروض ، فكان كشعراء الرواية والسليقة العرب ، وكان من الطبيعي أن يبدأ محاكاة الأقدمين مترسماً خطاهم ، وقد دفعت المحاكاة الأصيلة للقدماء ، والترسم المطبوع لخطاهم إلى ألا يفقد شخصيته وأصالته فظهرت هذه الشخصية من وراء التقاليد الشعرية الموروثة في بناء القصيدة ، ورسم الصور وصيغ العبارات .

فقد عرف هذا الشاعر أن المحاكاة المشروعة للشعراء الاصلاء بالأ يتخلى المحاكي عن شاعريته وأصالته وإلا فقد عجز عن محاكاتهم في أخص خصائص الشاعرية .